

"رؤية نقدية لكتاب - حضارة العرب - للمستشرق الدكتور غوستاف لوبون"
بحث مقدم للملتقى الدولي حول السيرة النبوية في الكتابات الأدبية عند المستشرقين

من تنظيم قسم اللغة العربية بكلية الآداب والحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

المنعقد يومي 10-11 مارس 2020م

من إعداد: الدكتور سامي رياض بن شعلال

أستاذ الحديث وعلومه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة - الجزائر

الملخص باللغة العربية:

يناقش الباحث في هذه الورقة ما كتبه الدكتور الفرنسي غوستاف لوبون حول شخص النبي ﷺ وسيرته العطرة في كتابه (الحضارة العربية)، فذكر ترجمة موجزة للدكتور لوبون وتعريفًا مختصرًا لكتابه، ثم تناول في المبحث الثاني مباحث السيرة، فتعرض للحديث عن مصادر لوبون في عرض السيرة النبوية، ومناقشته في توجيه الروايات، كما تتبع لوبون في أخطائه وأفكاره حول شخص النبي ﷺ والقرآن الكريم باعتباره وحيا. ثم سجل جملة من النتائج، مع ذكر لمجموعة من التوصيات.

الملخص باللغة الإنجليزية:

The researcher discusses what the French doctor Gustave Le Bon wrote about Prophet's biography in his book (Arab Civilization). He mentioned who is Dr. Le Bon briefly, and a brief definition of his book. Then the second topic he discussed the prophet's biography, he talked about the sources of Le bon view biography, and discussing it in directing novels. He also traced his mistakes and thoughts about prophet and the Holy Qur'an as a revelation. Then he recorded a set of results, mentioning a set of recommendations.

مُتَكَلِّمًا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، سيّدنا محمّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

تمثل سيرة نبيّنا محمّد ﷺ أهم روافد الشريعة الإسلامية، فهي جزء لا يتجزأ من السُنّة النبوية التي يأخذ منها المسلمون أحكام دينهم مع القرآن الكريم، من أجل ذلك تناول أهل العلم والفكر السيرة النبوية في دروسهم وكتاباتهم قديما وحديثا، ولم يهملوا شيئا منها.

ومنّ اهتم - منذ وقت مبكر - بالسيرة النبوية المستشرقون^(١)، وقد تباروا بتأليف الكتب والمقالات مختلفة الأحجام والمواضيع، من أجل تشكيل النظرة الغربية بشأن خاتم الأنبياء عليهم السلام جميعا، فمنهم "من يعتمد في تاريخ حياة النبي ﷺ أو عرض بعض من أجزاء حياته على المصدر والمصدرين، وهذه المصادر تتباين في كون بعضها يُعدّ من إنتاجات آباء الاستشراق الأوائل، وأخرى من إنتاجات المحدثين والمعاصرين، وكانت المصادر القديمة تُعتمد لا محالة، ومن أخلّ بها فلا ثقة في علمه، ولم يتحرر من هذه القيود سوى النزر اليسير الذي كان يتخطى المعلومات الموجودة في كتب المستشرقين لينهل من معين مصادر السيرة الأصلية، مثل القرآن والسنة وكتب السيرة المشهورة في التراث الإسلامي والمعروفة في الثقافة الإسلامية. ومنهم من جمع بين النوعين معا مؤيدا ما جاء في كتب الاستشراق، ومشوها ما جاء في كتب السيرة الأصلية، وإذا اقتبس من هذه الأخيرة فاقتباسه منها محدود جدا. ومنهم من جمع بين النوعين لكنه تولى نقد المعلومات المغلوطة عند أسلافه ولربما معاصريه أيضا، مبينا الحقيقة في السيرة النبوية في ضوء ما عثر عليه من مصادر السيرة الأصلية وكأنّه يكشف عليها لأول مرة"^(٢).

ومن أشهر المستشرقين ممن صنف في السيرة النبوية: الدكتور غوستاف لوبون [Gusave Le Bon]، وقد جاءت هذه الورقة للكشف عن مصادره في اقتباس أحداث السيرة النبوية وبيان منهجه في

(١) المستشرقون هم أصحاب علوم وتخصصات، تناولوا الدراسات الشرقية من موقع تخصصاتهم وفق مناهجهم، فالمشتغلون بالفلسفة اهتموا بالفلسفة الإسلامية، واللاهوتيون منهم اهتموا بالعقيدة وعلم الكلام، ورجال القانون والسياسة اهتموا بمجال الفقه وأصوله والتشريع، والأدباء اهتموا بمجال الأدب العربي وفقه اللغة، واهتم المؤرخون منهم بفضاء التاريخ والسيرة النبوية، وهكذا باقي العلوم التخصصات، وقد يقع تباين من هذه المجالات، بحيث نجد المستشرق في مجال ويهتم بمجال آخر. ينظر: الاستشراق والعلوم الإسلامية بين نقلانية التأصيل وعقلانية التأويل، للأستاذ الدكتور مجّد خروبوات: (ص/٣٩-٤٠) المطبعة والوراقة الوطنية مراكش، الطبعة الأولى (٢٠١٧م).

(٢) ينظر المرجع نفسه: (ص/٤٠٢-٤٠٣).

تحليلها، ولنتبين حضور الإشكاليات المعرفية الاستشراقية عنده في التعامل مع السيرة النبوية من غيابها، وذلك من خلال تتبع كتابه "حضارة العرب" [La civilisation des Arabes]، حيث خصص بابا لكلام عن سيرة النبي ﷺ.

ورأيت أن يكون عنوان المداخلة: "رؤية نقدية لكتاب - حضارة العرب - للمستشرق الدكتور غوستاف لوبون".

أهمية البحث:

يستمد هذا البحث أهميته من النقاط الآتية:

- كون السيرة النبوية هي ترجمة لحياة خاتم أنبياء الله ورسله محمد ابن عبد الله ﷺ من مبتدأ حياته الشريفة إلى منتهاها.

- ما للسيرة النبوية من أهمية بالغة في فهم الإسلام وبيان عقائده وتشريعاته.

- كون الدكتور غوستاف لوبون ينتمي إلى المدرسة الاستشراقية الفرنسية، التي تعد من أهم المدارس وأخطرها بالنظر إلى خطورة مخططاته وآثاره، فضلا عن الجذور الفرنسية - تاريخا وثقافة وانطلاقا-.

سبب اختيار موضوع البحث:

وأما سبب اختيار موضوع البحث فيرجع إلى كون الدكتور لوبون لم يسر على نهج معظم مؤرخي أوروبا، بل كانت له نظرة إيجابية نحو العرب، حيث كان يرى أن العرب هم من مدّن أوروبا، فجمع في كتابه "حضارة العرب" عناصر الحضارة العربية التي أثرت في العالم، محاولا بعث حضارة العرب من مرقدتها وإظهارها للملأ على وجهها الصحيح، دافعا جحود الأوربيين فضل العرب عليهم، فناسب إبراز نظرته في شخص النبي العربي محمد ﷺ وسيرته العطرة.

ثمّ إنّ المادة حول السيرة النبوية الواردة في كتاب "حضارة العرب" تناسب الحجم المسموح به لإعداد المداخلة، والوقوف على منهج الدكتور غوستاف لوبون في التعامل مع روايات السيرة النبوية.

أهداف البحث:

يهدف موضوع البحث إلى تحقيق الآتي:

١/ إبراز المعارف المتعلقة بالسيرة النبوية التي ضمنها الدكتور غوستاف لوبون كتابه "حضارة العرب"، من أجل الوقوف على نظرتَه حول شخص رسول الله ﷺ وسيرته العطرة.

٢/ التعرف على مدى صحة ومصداقية مباحث السيرة في كتاب لوبون، من حيث المصادر وتحليل الأحداث.

٣/ الدفاع عن سيرة الحبيب المصطفى ﷺ العطرة من خلال الكشف عن المطاعن حول شخص النَّبِيِّ ﷺ المثارة في كتاب "حضارة العرب".

إشكالية البحث:

جاء هذا البحث لدراسة الإشكالية الآتية: هل اعتمد الدكتور "لوبون" في كتابه "حضارة العرب" على المصادر الأصيلة في نقل السيرة النبوية؟ وهل التزم الموضوعية في تحليل أحداث السيرة النبوية؟

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي المقارن، وذلك بجمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع، ثم النظر فيها وتحليلها للوصول إلى نتائج البحث باعتماد المقارنة بين ما ورد في كتاب حضارة العرب وأحداث السيرة النبوية الثابتة.

خطة البحث:

تناولت الموضوع من خلال خطة قُسمت إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، فأما المقدمة فأذكر فيها أهداف البحث، وأسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وإشكاليته، والمنهجية المتبعة، وأما المبحث الأول: فخصصته للكلام عن نبذة موجزة حول المستشرق الدكتور غوستاف لوبون وكتابه "حضارة العرب"، والمبحث الثاني ضمنته الكلام حول الرؤية النقدية في صحة ما نقله لوبون عن شخص النَّبِيِّ ﷺ وأحداث السيرة النبوية وفهمها، ثم ختمت البحث بذكر نتائجه وجملة من التوصيات.

المبحث الأول: نبذة موجزة عن المستشرق غوستاف لوبون وكتابه "حضارة العرب".

لما كان البحث يهدف إلى إبراز موقف المستشرق الفرنسي الدكتور غوستاف لوبون من شخص النَّبِيِّ ﷺ وسيرته العطرة من خلال تتبع كتابه "حضارة العرب"، فقد خصصت هذا المبحث لذكر نبذة موجزة عن المؤلف والمؤلف، وذلك ضمن مطلبين:

المطلب الأول: نبذة موجزة عن المستشرق غوستاف لوبون.

ولد الدكتور غوستاف لوبون [Gusave Le Bon] في مدينة نوجينت لو روترو [Nogent-le-Rotrou] بمقاطعة [Eure-et-Loir] في شمال فرنسا في (7 مايو 1841م)^(٣).

وكانت عائلته من العائلات البورجوازية الصغيرة، حيث كان والده أميناً للرهن العقاري، درس الثانوية في مدينة تور [Tours]، ثم درس في كلية طب باريس، حيث حصل على درجة الدكتوراه سنة ١٨٦٦.

عاش الدكتور لوبون في القرن التاسع عشر (١٩)، وبرز بأفكاره في وسط كان مليئاً بالاضطرابات الحادة، وتتمثل صور الاضطراب فيما عانت فرنسا فيه متغيرات عميقة وعدم استقرار سياسي، فقد مرت بعدة أنظمة، من امبراطورية إلى ملكية، ثم إلى جمهورية ثانية، وامبراطورية ثانية، ثم جمهورية ثالثة، كما كان العالم العربي والإسلامي يعيشان فترة انحطاط، ولعل ذلك ما دفع بالدكتور لوبون إلى إبراز فضل العرب والمسلمين في انتعاش الحضارة، فكان عمله الكبير كتاب (حضارة العرب)

نشط الدكتور لوبون في مجال الطب لعدة سنين، حيث ظهرت له من عام ١٨٦٢م إلى ١٨٦٩م) جملة من الدراسات، من ذلك: دراسات حول وفيات الرضع، وإدمان الكحول والتبغ، وعلاج

^(٣) أعددت الترجمة بالرجوع إلى عدد من الدراسات باللغة الفرنسية مع اجتهاد في ترجمتها، وذلك لعدم توفر دراسات عن الدكتور لوبون باللغة العربية، إلا ما ذكره الدكتور فايز بن علي الشهري في كتابه (غوستاف لوبون): (ص/٢٢) المركز الثقافي للكتاب الدرا البيضاء/ المغرب، الطبعة الأولى (٢٠١٩م)، وقد جمعه من مواقع الكترونية. وتلك الدراسات هي كالاتي:

(1) Benoît Marpeau: (Gustave Le Bon. Parcours d'un intellectuel. 1841-1931). Paris, CNRS Éditions, 2000.

(2) Benoît Marpeau: (Capitalisme et psychologie de l'éducation Gustave Le Bon et les milieux d'affaires au début du XXème siècle) Edition l'Atelier par l'Association Le Mouvement Social No: 191 (Avr-juin 2000).

(3) Chatherine Rouvier

(Les Idées politiques de Gustave Le Bon) PUF Presses Universitaires de France

Wikipedia (4)

الكوليرا، وعلاج الاختناق، وغيرها من الدراسات، التي استحق من أجلها أن يُنتخب عضواً في جمعية الطب العملي.

تنوعت ثقافة الدكتور لوبون، فتوجه إلى مجال الأنتروبولوجيا، كما ولج ميدان علم النفس، بالإضافة إلى تعلم الكيمياء، والفيزياء، وغيرها من العلوم، وتميز بتنوع مجال أبحاثه دون أن يتوقف عن العمل الإرشادي الطبي.

خلال الحرب الفرنسية البروسية التي اندلعت سنة (١٨٧٠م) جُند الدكتور لوبون في الخدمة الصحية للجيش، وأثناء حصار باريس شارك في معركة شامبني [Champigny]، حيث كان قائداً لكثير من فرق إجلاء جرحى الحرب، ومن أجل ذلك منح لوبون لقب فارس جوقة الشرف [Chevalier Legion d'honneur]، وهذا النشاط الإغاثي كان دافعاً للدكتور لوبون فسأل قلمه فحطّ مقالة بعنوان: «النظافة العملية للجندي والجرحى»، عَقِبَ معارك فك الحصار عن باريس تولّد لدى الدكتور لوبون كرها شديداً للعنف بكل أشكاله.

كتب الدكتور لوبون في مجالات علمية عديدة، فاستهل الكتابة في علم الطب، ثم في علم الفيزياء، فالأنتروبولوجيا وعلم الآثار، والحضارة والتاريخ، وانتهى بالكتابة في علم الاجتماع، حتى أصبح من فلاسفة علم الاجتماع الفرنسيين، ولقوة طرحه الفكري في هذا المجال تأثر به السياسيون البارزون، أمثال: الإيطالي موسوليني، والالمانى هتلر، والبريطاني تشرشل، والأمريكي روزفلت، وبلديه ديغول، وغيرهم.

اهتمّ لوبون بالطب النفسي - وبخاصة السلوك الجماعي - الأمر الذي مكّنه من إصدار العديد من الأبحاث في هذا المجال، ولهذا عُدَّ مؤسس «علم نفسية الجماهير»، حيث أنجز ما يفوق عن ستين (٦٠) كتاباً وبحثاً في ذلك، يأتي على رأسها كتاب (سيكولوجية الجماهير).

كما كان علم الحضارات بشكل عامّ من اهتمامات الدكتور لوبون، فقد كان من السابقين الذين كتبوا في التاريخ من الأوروبيين إلى الاعتراف بفضل الحضارة الإسلامية على الغرب، ولم يدافع حضارة العرب فحسب، "بل دافع عن حقوق المسلمين، وانتقد سياسة القهر والهضم التي عسفتهم بها الدول الأوروبية المستعمرة، وقد كتب كتابات شافية في انتقاد قومه الفرنسيين بما يعاملون به مسلمي الجزائر من الظلم، والإرهاق، ونزع الأراضي، والتشريد في الصحراء، وغير ذلك"^(٤).

^(٤) في الميزان غوستاف لوبون للدكتور شوقي أبو خليل: (ص/١٣). دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ودار الفكر دمشق، ط ١ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

ومّا لا يُنكر أن الدكتور لوبون كان عالما موسوعيا ومفكرا عالميا متعدد الاختصاصات، ولذلك فاقت كتبه عن الخمسين كتابا، إلى جانب عدد كبير من البحوث والمقالات، ومن جملة كتبه إلى جانب ما تمّ ذكره^(٥):

كتاب (تطور المواد)، وكتاب (روح الثورات والثورة الفرنسية)، وكتاب (روح السياسة)، وكتاب (اليهود في تاريخ الحضارات)، وكتاب (حياة الحقائق)، وكتاب (الآراء والعقائد)، وكتاب (حضارة الهند)، وكتاب (روح الاشتراكية)، وكتاب (الإنسان والمجتمع)، وكتاب (فلسفة التاريخ)، وكتاب (روح التربية)، وكتاب (الحضارات الأولى)، وكتاب (مقولات مأثورة في الوقت الراهن)، وكتاب (السنن النفسية لتطور الأمم) ، وكتاب (الحضارات الأولى)، وكتاب (ركوب الخيل ومبادئه). وقد تُرجم أكثر من أربعين (٤٠) كتابا من أعماله إلى ثماني عشرة (١٨) لغة.

ومن أبرز ما ميّز الدكتور لوبون توقعه لبعض الأحداث العالمية ومنها: وقوع الحرب العالمية الأولى، وانتصار الديكتاتوريات في أوروبا، وصراعات الشرق، وأمريكا اللاتينية، وإيرلندا، وانتشار الاشتراكية، وعودة الإسلام، ولعل ذلك راجعة إلى اهتمامه الكبير بالحضارات عموما، فقد كرس عدة مجلدات لتاريخ الحضارات العظيمة، وفي مقدمتها الحضارة العربية، حيث سافر إلى شمال إفريقيا (المغرب، الجزائر، تونس) من سنة (١٨٨٢م إلى ١٨٨٤م)، ثم إلى الشرق الأوسط (لبنان، مصر، فلسطين، سورية، تركيا والعراق) وكذلك، إلى أصفهان وسمرقند، أين اتصل بشعوب تلك البلاد.

توفي الدكتور غوستاف لوبون في باريس عن عمر يناهز التسعين عاما في الخامس عشر من شهر ديسمبر عام (١٩٣١م).

المطلب الثاني: نبذة موجزة عن "حضارة العرب".

يعد كتاب (حضارة العرب) [La civilisation des Arabes] للدكتور لوبون من الكتب التي وصفت آثار حضارة العرب، وأنصفت فتوحات المسلمين ودافعت عنها، بروح علمية عالية المستوى قوية الحجّة^(٦).

وقد نقله إلى اللغة العربية الأستاذ عادل بن عمر بن حسن زعيترو، وهو حقوقي من أكابر المترجمين إلى اللغة الفرنسية (ت١٩٥٧م)، إلى جانب كتاب (حضارات الهند)، وكتاب (روح

^(٥) تقدم ذكر: كتاب (حضارة العرب) الذي سنتناوله بالدراسة، وكتاب (سيكولوجية الجماهير).

^(٦) ينظر: في الميزان غوستاف لوبون للدكتور شوقي أبو خليل: (ص/١١).

الاشتراكية)، وكتاب (روح الثورات والثورة الفرنسية)، وكتاب (فلسفة التاريخ)، وكتاب (روح السياسة)، وكتاب (الآراء والمعتقدات)، وهي كلها من كتب الدكتور غوستاف لوبون المطبوعة^(٧).

تقع نسخة كتاب (حضارة العرب) المترجمة إلى اللغة العربية في إحدى وثمانين وستمائة (٦٨١) صحيفة، وهي من منشورات مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركائه، تشتمل على عشر (١٠) لوحات، وأربع (٤) خرائط، وثلاث وستين وثلاثمائة (٣٦٣) صورة وفق تصوير المؤلف الفوتوغرافي^(٨).

وقد اقتطع الأستاذ زعيتر أربعاً وعشرين (٢٤) صحيفة من مجمل صحائف الكتاب لنسج مقدمة أثنى فيها على الدكتور لوبون وكتابه.

نبّه الدكتور لوبون في مقدمة كتابه - التي حوت ثلاث عشرة (١٣) صحيفة - على أن مضامين كتابه ستكون حول تاريخ الحضارات بعد أن بحث في الإنسان والمجتمع إكمالاً لبرنامج، وأنه بدأ بالعرب لأنه اطلع على حضارتهم أثناء رحلاته الكثيرة أحسن مما اطلع على غيرها من الحضارات، ولأن أحداً لم يقدّم بوضع كتاب جامع لتأثير حضارة العرب العظيم في أوروبا وباقي الأمم، ويبين أن العرب أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وأن جامعات الغرب لم تعرف لقرون مورداً علمياً سوى كتب المسلمين، وأنهم هم الذين مدّنوا أوروبا مادة وعقلاً وأخلاقاً^(٩).

كما ذكر أهم طرق البحث والاستقصاء التي يستعان بها على درس الحوادث التاريخية، ومنها أنّ مبدأ العلة المسيطرة على دراسة قضايا العلم يسيطر على دراسة حوادث التاريخ أيضاً، وأنّ طرق البحث والاستقصاء التي يستعان بها على دراسة العلمية يستعان بها على دراسة الحوادث التاريخية أيضاً، فيرى أن درس الحادثة الاجتماعية يكون كدرس أية حادثة طبيعية أو كيميائية^(١٠).

ومما جاء في مقدمة الكتاب أن الآثار الكثيرة الباقية من حضارة العرب، ويسمّيها الآثار الماثلة لا يصفها مثل عرض صورها، وهي أولى من مجموعة الكتب التي وضعها جميع مؤلفي العالم لوصفها، ويؤكد على أن تلقيه صور الآثار التاريخية في الروع من المعاني الصادقة يدفع إلى الإكثار منها في كتابه حضارة العرب، وأنّ القارئ الذي يتصفح صور كتابه يمكنه الاطلاع على حضارة العرب وتحولاتها في

^(٧) ينظر: الأعلام لخير الدين الزركلي: (٢٤٤/٣). دار العلم للملايين بيروت لبنان، الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢م.

^(٨) هذا الأحصاء للأستاذ زعيتر وقد أثبتته على غلاف الكتاب.

^(٩) ينظر حضارة العرب: (ص/٢٥-٢٩).

^(١٠) المرجع نفسه: (ص/٣٠-٣٣).

مختلف الأقطار أكثر مما يطلع عليه من الكتب الكثيرة، لذلك اعتمد الفوتوغرافية التي جادت عليه بصور صحيحة للأبنية والآثار والمناظر، ولهذا امتدح مقولة: "إن صورة متقنة خير من مئة صفحة في الوصف"^(١١).

ثم بدأ بالباب الأول وسماه: "البيئة والعرق" [Le milieu et la race]، وضممه ثلاثة فصول، الفصل الأول عنونه ب: "جزيرة العرب" [L'Arabie]، حيث تكلم في المبحث الأول عن جغرافية جزيرة العرب [La Geographie de L'Arabie]، وفي المبحث الثاني عن إنتاجها [Production de L'arabie]، وكان من أهمها التمر والبن، وتكلم عن الزراعة والثروة الحيوانية وعلى رأسها الخيول العربية، كما ذكر مبحثاً ثالثاً تكلم فيه عن أقسام جزيرة العرب [Les Provinces de L'Arabie]، فكان منها: بلاد الحجاز، وبلاد اليمن، وبلاد حضر موت ومهرة وعمان والأحساء، وبلاد نجد^(١٢).

وأما الفصل الثاني فضمه الحديث عن العرب، فخص المبحث الأول منه للكلام عن مبدأ عرق العرب كما أقرته العلوم الحديثة [L'idee de race d'apres la science actuelle]، وتكلم في المبحث الثاني عن أهمية الأخلاق في تقسيم العروق [Importance de l'etude des caracteres moreaux et intellectuels dans la classification des races]، ثم في المبحث الثالث تكلم عن منشأ العرب [Origine des Arabes]، وفي المبحث الرابع تحدث عن تنوع شعوب العرب [Diversite des Population Arabes]، وفي الخامس عن وصف الفوارق بين العرب [Description des diverses Populations Arabes]^(١٣).

ثم الفصل الثالث خصه للحديث عن العرب قبل ظهور محمد ﷺ [Les Arabes avant Mahomet]، فتكلم في المبحث الأول عن الوهم في همجية العرب قبل ظهور^(١٤) محمد ﷺ [Pretendue Barbarie des Arabes avant Mohamet]، واعتبر أنّ هذا الرأي فاسد، وضمن المبحث الثاني الحديث عن تاريخ العرب قبل ظهور محمد ﷺ [Histoire des Arabes avant Mahomet]

^(١١) المرجع نفسه: (ص/٣٣-٣٦).

^(١٢) المرجع نفسه: (ص/٣٩-٥٧).

^(١٣) المرجع نفسه: (ص/٥٨-٨٧).

^(١٤) ويلاحظ أن الدكتور لوبون يعبر بالظهور وليس بالبعثة.

[Arabes avant Mahomet
Civilisation de] في المبحث الثالث تحدث عن حضارة جزيرة العرب قبل ظهور محمد ﷺ
[L'arabie avant Mahomet
Les] وذكر في الرابع أديان جزيرة العرب القديمة
[Anciennes Religions de L'Arabie

وأما الباب الثاني فخصه الدكتور لوبون للحديث عن أصول الحضارة العربية^(١٥) [Les
origines de le civilisation Arabe]، وهو الباب الذي ضمنه مقاطع من سيرة النبي ﷺ
وخلفائه الراشدين ﷺ.

الفصل الأول منه تكلم عن محمد ﷺ ونشوء الدولة العربية [Mahomet Naissance
de L'empire Arabe]، ومقصده قيام الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة، فضمن المبحث الأول
الحديث عن فتوة محمد ﷺ [La Jeunesse de Mohamet]، ثم في المبحث الثاني تحدث عن
رسالته ﷺ [Predication de Mohamet]، وفي الثالث عن محمد ﷺ بعد الهجرة
[Mahomet depuis L'hegire]، وفي الرابع منه عن محمد ﷺ وأخلاقه [Caracteres et
vie de Mohamet]^(١٦).

وأما الفصل الثاني فخصه للحديث عن القرآن الكريم، فعقد المبحث الأول حول خلاصة القرآن
[Resume du Coran]، فتحدث عن نزوله وأسلوبه وغيرها من مباحث القرآن الكريم، ثم في
المبحث الثاني تناول فلسفة القرآن الكريم وانتشاره في العالم [Philosophie du Coran et sa
Diffusion dans le Monde]^(١٧).

والفصل الثالث تحدّث فيه عن فتوح العرب [Les conquetes des Arabes]
فاستهل به بالمبحث الأول عن حال العالم في زمن محمد ﷺ [Le monde a l'epoque de
Mohamet]، ثم خص المبحث الثاني للحديث عن طبيعة فتوح العرب [Caracteres des
conquetes des Arabes]، وفي الثالث تكلم عن خلفاء محمد ﷺ الأولين [Les premiers
successeures de Mohamet]، فذكر الخلفاء الأربعة ﷺ، واسترسل في الحديث عن الشيخين

^(١٥) ترجم الأستاذ زعيتر هذا الباب بقوله: "مصادر قوة العرب"، ولعل ما أثبتته أدق في الترجمة.

^(١٦) ينظر حضارة العرب: (ص/٥٩-١١٧).

^(١٧) المرجع نفسه: (ص/١١٧-١٢٩).

أبي بكر وعمر رضي الله عنهما دون عثمان وعلي رضي الله عنهما، ثم ختم الفصل بمبحث رابع ذكر فيه خلاصة تاريخ العرب [Resume de L'histoire des Conquetes des Arabes]، لخص فيه تاريخ وقائع المسلمين الحربية في القرون الثمانية التي دامت فيها حضارتهم^(١٨).

ثم الباب الثالث ضمنه الحديث عن دولة العرب [L'empire des Arabes]^(١٩)، فتكلم في الفصل الأول عن العرب في سوريا [Les Arabes en Syrie]^(٢٠)، ثم في الثاني عن بغداد [Les Arabes en]^(٢١)، ثم في الثالث عن بلاد فارس والهند [Les Arabes en]^(٢٢)، ثم في الرابع عن مصر [Les Arabes en Egypte] وأطال النفس قليلا^(٢٣)، ثم في الخامس عن أفريقية الشمالية [Les Arabes dans L'Afrique]^(٢٤)، ثم في السادس عن إسبانيا [En Espagne]^(٢٥) وهي أكثر المباحث التي أطال فيها الدكتور لوبون النفس، ثم ذكر السابع العرب في صقليا وإيطاليا وفرنسا [Les Arabes]^(٢٦)، ثم ذكر الفصل الثامن من هذا الباب، وخصه بالحديث عن اصطراع النصرانية والإسلام والحروب الصليبية [Luttes du christianisme]^(٢٧) [contre L'Islam et les croisades].

^(١٨) المرجع السابق: (ص/١٣٠-١٤٧).

^(١٩) سأكتفي فيما تبقى من الكتاب بعرض الأبواب والفصول دون المباحث تجنباً للإطالة، ثم لعدم علاقتها بموضوع البحث الخاص بسيرة المصطفى ﷺ.

^(٢٠) المرجع نفسه: (ص/١٤٩-١٧٠).

^(٢١) المرجع نفسه: (ص/١٧١-١٨٠).

^(٢٢) المرجع نفسه: (ص/١٨١-٢٠٢).

^(٢٣) المرجع نفسه: (ص/٢٠٣-٢٤٢).

^(٢٤) المرجع نفسه: (ص/٢٤٣-٢٦٢).

^(٢٥) المرجع نفسه: (ص/٢٦٣-٢٩٩).

^(٢٦) المرجع نفسه: (ص/٣٠٢-٣١٨).

^(٢٧) المرجع السابق: (ص/٣١٩-٣٣٩).

ثم الباب الرابع وقد حوى طبائع العرب ونظمهم [Les moeurs et les intitutions
des Arabes]، فذكر في الفصل الأول أهل البدو وأهل الأرياف من العرب [Les Arabes
nomades et Arabes sedentaires des campagnes]^(٢٨)، ثم في الفصل الثاني تحدث
عن طبائع وعادات عرب المدن [Les Arabes des villes – Moeurs et
coutumes]^(٢٩)، وفي الثالث عن نظم العرب السياسية والاجتماعية [Institutions
politiques et sociales des Arabes]^(٣٠)، ثم الرابع تكلم فيه عن المرأة في الشرق [Les
femmes en Orient]^(٣١)، وختم هذا الباب بمبحث خامس ضمنه الحديث عن الدين
والأخلاق [Religion et Morale]^(٣٢).

والباب الخامس عنوانه باسم الكتاب العام: حضارة العرب [La civilisation des
Arabes]، وذكر فيه إحدى عشرة فصلا، فخص الفصل الأول للكلام حول مصادر معارف العرب
في تعليمهم ومناهجهم [Origine des connaissances des Arabes leurs
enseignement et leurs methodes]^(٣٣)، والفصل الثاني تكلم فيه عن اللغة والفلسفة
والآداب والتاريخ [Langue Philosophie Literature et Histoire]^(٣٤)، وفي الثالث
تحدث عن الرياضيات وعلم الفلك [Mathematiques et Astronomie]^(٣٥)، وفي الرابع
ذكر العلوم الجغرافية [Sciences geographiques]^(٣٦)، ثم الخامس أين تحدث عن الفيزياء

^(٢٨) المرجع نفسه: (ص/٣٤١-٣٥٦).

^(٢٩) المرجع نفسه: (ص/٣٥٧-٣٨٠).

^(٣٠) المرجع نفسه: (ص/٣٨١-٣٩٦).

^(٣١) المرجع نفسه: (ص/٣٩٧-٤١٦).

^(٣٢) المرجع نفسه: (ص/٤١٧-٤٣٣).

^(٣٣) المرجع نفسه: (ص/٤٣٣-٤٣٧).

^(٣٤) المرجع نفسه: (ص/٤٣٩-٤٥٤).

^(٣٥) المرجع السابق: (ص/٤٥٥-٤٦٤).

^(٣٦) المرجع نفسه: (ص/٤٦٥-٤٧١).

وتطبيقاتها [Sciences Physiques et leur applications]^(٣٧)، وأما الفصل السادس
 فخصه للكلام عن العلوم الطبيعية والطبية [Sciences Naturelles et Medicales]^(٣٨)،
 والسابع تكلم فيه عن الفنون العربية، فذكر الرسم والحفر والفنون الصناعية [Les Arts Arabes
 Peinture Sculpture Arts industriels]^(٣٩)، ثم في الثامن ذكر فن عمارة العرب
 [L'Architecture des Arabes]^(٤٠)، وفي الفصل التاسع تحدث عن تجارة العرب وصلتهم
 بمختلف الأمم [Commerce des Arabes leur relation avec divers pays]^(٤١)،
 ثم ختم هذا الباب بفصل عاشر تكلم فيه عن تمدن العرب لأوروبا وتأثيرهم في الشرق والغرب
 [Civilisation de l'Europe par les Arabes et leur Influence en
 Occident et en Orient]^(٤٢).

ثم ختم الدكتور لوبون كتابه بباب سادس خصه بالحديث عن انحطاط العرب [La
 Decadence de la Civilisation Arabe]، فاستهله بذكر فصل حول ورثة العرب وتأثير
 الأوربيين في الشرق [Les Successeurs des Arabes – Influence des
 Europeens en Orient]^(٤٣)، ثم في الفصل الثاني ذكر أسباب عظمة العرب وانحطاطهم وحال
 الإسلام الحاضرة [Cause de la grandeur et de la decadence des Arabes –
 Etat actuel de L'Islamisme]^(٤٤).

^(٣٧) المرجع نفسه: (ص/٤٧٣-٤٨٤).

^(٣٨) المرجع نفسه: (ص/٤٨٥-٤٩٤).

^(٣٩) المرجع نفسه: (ص/٤٩٥-٥١٩).

^(٤٠) المرجع نفسه: (ص/٥٢١-٥٥١).

^(٤١) المرجع نفسه: (ص/٥٥٣-٥٦٢).

^(٤٢) المرجع نفسه: (ص/٥٦٣-٥٧٩).

^(٤٣) المرجع نفسه: (ص/٥٨١-٥٩٩).

^(٤٤) المرجع السابق: (ص/٦٠١-٦١٧).

لينتهي أبواب كتاب "حضارة العرب" وفصوله بقوله: "لقد تمّ الكتاب، ولنلخصه في بضع كلمات فنقول: إنّ الأمم التي فاقت العرب تمدنا قليلة إلى الغاية، وإنّا لا نذكر أمة كالعرب حققت من المبتكرات العظيمة في وقت قصير مثل ما حققوا، وإنّ العرب أقاموا دينا من أقوى الأديان التي سادت العالم، أقاموا دينا لا يزال تأثيره أشدّ حيوية مما لأيّ دين آخر، وإنّهم أنشأوا من الناحية السياسية دولة من أعظم الدول التي عرفها التاريخ، وإنّهم مدّنوا أوروبا ثقافة وأخلاقا، فالعروق التي سمت سمّ العرب وهبطت هبوطهم نادرة، ولم يظهر كالعرب عرق يصلح أن يكون مثالا بارزا لتأثير العوامل التي تُهيمن على قيام الدول وعظمتها وانحطاطها"^(٤٥).

"Notre livre est terminé, Résumons-le en quelques mots. Au point de vue de la civilisation, bien peu de peuples ont dépassé les Arabes et l'on n'en citerait pas qui ait réalisé des progrès si grands dans un temps si court. Au point de vue religieux, ils ont fondé une des plus puissantes religions qui aient régné sur le monde, une de celles dont l'influence est la plus vivante encore. Au point de vue politique, ils ont créé un des plus gigantesques empires qu'ait connus l'histoire. Au point de vue intellectuel et moral ils ont civilisé l'Europe. Peu de races se sont élevées plus haut, mais peu de races sont descendues plus bas. Aucune ne présente d'exemple plus frappant de l'influence des facteurs qui président à la naissance des empires, à leur grandeur et à leur décadence.

فمن خلال عرض أبواب كتاب حضارة العرب وفصوله، يلحظ القارئ أنّ الكتاب "فريد من نوعه، وكاتبه محبّ للعرب وحضارتهم... لقد وصف لوبون آثار حضارتنا فأجاد، ودافع عن فتوحاتنا فأنصف، كلّ ذلك بروح علمية عالية المستوى قوية الحجّة"^(٤٦)، فهل كلامه عن شخص رسول الله ﷺ وسيرته يرقى إلى هذا المستوى الرفيع في وصف حضارة العرب؟ هذا ما سنتعرض إليه في المبحث الموالي.

^(٤٥) المرجع نفسه: (ص/٦١٨).

^(٤٦) شوقي أبو خليل، في الميزان غوستاف لوبون: (ص/١١).

المبحث الثاني: رؤية نقدية حول المصادر وثبوت الرواية وفهمها.

يهدف هذا المبحث إلى تتبع مصادر السيرة ورواياتها التي استشهد بها الدكتور غوستاف لوبون وفحصها للوقوف على ثبوتها من عدمه^(٤٧)، ثم النظر في توجيه لوبون لتلك الروايات، لنصل في نهاية المطاف إلى تسجيل الموقف الصحيح إزاء الروايات المعتمدة عنده وفهمه لها، فمن "حق لوبون والاستشراق أن يقول، وأن يتناول بالتحليل والنقد والدراسة والتعليق، ومن حقنا الرد والتصويب وتفنيد الخطأ، لأنّ السكوت عمّا يقال أو يقدّم، يعني تسليمًا ضمنيًا بآراء الاستشراق وطروحاته"^(٤٨)، ولهذا سيكون التركيز على الباب الثاني من الكتاب، حيث خصه الدكتور لوبون بذلك كما تقدّم^(٤٩). ورأيت أن أعرض ذلك كله في مطلبين:

المطلب الأول: رؤية نقدية حول المصادر وثبوت الرواية.

اقتصرت الرؤية النقدية في هذا المطلب على تتبع مصادر السيرة ورواياتها، التي ذكرها الدكتور لوبون في كتابه، وفيما يلي عرض لذلك:

أولاً: فتوة محمد [La jeunesse de Mahomet]

تحدث الدكتور لوبون في هذا المبحث عن فتوة النبي ﷺ بكلام مرسل من دون رجوع إلى أي مصدر من مصادر السيرة النبوية، كما في المواضيع الآتية:

١/ "ورأى أبواه من الرضاعة ما رأيا من الخوارق التي كانت تلازمه، على زعم كتب السيرة، خافا مغبة الأمر، ولم يريدوا بقاءه عندهما"^(٥٠). " Effrayes suivant la tradition par les

^(٤٧) ما كان صحيحا لن أعلق عليه، وسأكتفي بالإشارة إلى مصدر كلامه إن وجد.

^(٤٨) المرجع السابق: (ص/١٢-٦١).

^(٤٩) ستقتصر الدراسة على الفصل الأول والثاني فقط؛ ففي الأول تحدث عن شخص النبي ﷺ وسيرته العطرة، وفي الثاني تحدث عن القرآن الكريم موهما القارئ أنّه من تأليف محمد ﷺ، لذلك ألحقته بالدراسة، وأما الفصل الثالث فتناول فيه الفتوحات الإسلامية والكلام حول الخلفاء الراشدين، فخرج الفصل بذلك عن موضوع الدراسة.

^(٥٠) حضارة العرب: (ص/١٠١). مع التنبيه على أن ترجمة الأستاذ زعيتير غير دقيقة، والأولى أن تكون الترجمة كالتالي: "حسب القصة". كما ترجمها في النص الغالث.

prodiges qui accompagnaient sa présence, ses parents adoptifs ne voulurent plus le garder".

من الواضح أنّ الدكتور لوبون أهمل ذكر مصدر هذا المقطع من سيرة النبي ﷺ، وهو يشير إلى حادثة شق الصدر، التي وردت في كتب السيرة باتفاق، فهو في سيرة ابن هشام (١٧٦/١)، وطبقات ابن سعد: (١١٢/١)، ودلائل النبوة لأبي نعيم: (ص/١١١)، والبداية والنهاية لابن كثير: (٢٧٥/٢)، والخصائص الكبرى للسيوطي (٥٤/١) وغيرها.

والظاهر أنّ لوبون لم يجزم بالطعن في الحادثة كما فعل غيره من المستشرقين، لعدم توفر الدليل القاطع لنفيها، ولعل ما يؤكد ذلك أنّ جمعا من المستشرقين أنكر الحادثة على معناها الظاهر، مع تفسيرها بكونها نوبة عصبية^(٥١)، فعلق لوبون بقوله: "وقيل إن مُجدا كان مصابا بالصرع، ولم أجد في تواريخ العرب ما يبيح القطع في هذا الرأي"^(٥٢). "On a assuré que Mahomet était épileptique, mais je n'ai rien trouve dans les chroniques arabes qui permette de se prononcer avec certitude sur ce point".

٢/ "ولما بلغ محمد العشرين من عمره اشترك في حرب بين قريش وقبيلة أخرى، فأظهر فيها كما قيل بصيغة التأكيد براعة حربية تجلّت فيه بعد زمن"^(٥٣). "vers l'âge de 20 ans, Mahomet prit part à un combat qui eut lieu entre les Koraïchites et une autre tribu. On assure qu'il y révéla déjà les talents militaires qu'il devait manifester plus tard".

^(٥١) ينظر السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة لمحمد مُجد بن سويلم أبي شهبة: (ص/١٩٩). دار القلم دمشق، ط ٨ (١٤٢٧هـ).

^(٥٢) حضارة العرب: (ص/١١٣).

^(٥٣) المرجع نفسه: (ص/١٠٢).

يشير لوبون إلى ما نقله ابن إسحاق - من دون إسناد - إلى مشاركة النَّبِيِّ ﷺ قومة حرب الفجار التي وقعت قبل بعثته ﷺ، بين قريش ومن معها من كنانة من جهة، وقيس بن عيلان وأحلافها من جهة، وسميت بحرب الفجار لوقوعها في الأشهر الحرم التي حرّم الله فيها القتال^(٥٤).

ولم يثبت أنّ النَّبِيَّ ﷺ شهد هذه الحرب^(٥٥)، وعلى قول من قال بمشاركته ﷺ، فقد كان دوره ردّ النبال عن أعمامه فحسب^(٥٦)، فمن أين أخذ الدكتور لوبون أنّ النَّبِيَّ ﷺ أظهر فيها براعة حربية تجلّت فيه بعد زمن؟؟

٣ / "وتقول القصة إنّ محمّدا سافر مع عمّه إلى سوريا مرة، وتعرّف في بصرى براهب نسطوري في دَيْرٍ نصراني، وتلقى منه علم التوراة"^(٥٧). " La tradition rapporte que pendant un de ses voyages en Syrie, l'oncle du futur prophète emmena ce dernier avec lui, et que Mahomet fit connaissance dans un monastère chrétien a Borşa d'un moine nestorien qui l'initia a la connaissance de l'Ancien Testament".

لقد أثبت أهل السير سفر النَّبِيِّ ﷺ في سن الثانية عشرة مع عمه أبي طالب إلى بصرى، وتحذير الراهب بحيرا أبا طالب من اليهود والروم^(٥٨)، ولم يكنف الدكتور لوبون بإغفال مصدره فيما نقل، بل بني على هذه القصة اتهامات فيها مجازفة علمية، فقد زعم أنّ النَّبِيَّ ﷺ تلقى علم التوراة عن الراهب بحيرا،

^(٥٤) ينظر سيرة ابن هشام: (١٨٤/١) تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى بابي الحلبي مصر، ط ٢ (١٣٧٥هـ-١٩٥٥م).

^(٥٥) ينظر السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري: (١١١/١). مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، ط ٦ (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

^(٥٦) قال السهيلي رحمه الله: "وإنما لم يقاتل رسول الله ﷺ مع أعمامه، وكان ينبئ عنهم، وقد كان بلغ سن القتال، لأنها كانت حرب فجار، وكانوا أيضا كلهم كفارا، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا". الروض الأنف: (١٤٧/٢)، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ١ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

^(٥٧) حضارة العرب: (ص/١٠٢).

^(٥٨) ينظر سيرة ابن إسحاق: (ص/٧٣). تحقيق سهيل زكار، دار الفكر بيروت، ط ١ (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م). ودلائل النبوة لأبي نعيم: (١٦٨/١) تحقيق مُحمَّد رواس قلعه جي وعبد البر عباس، دار النفائس بيروت، ط ٢ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

"إذ كيف يعقل أن يتلقى النبيّ في سن الثانية عشرة علوم التوراة... وهو أمي لا يحسن القراءة والكتابة؟! فضلا عن حاجز اللغة، إذ لم يكن قد وجد في ذلك الوقت توراة ولا إنجيل باللغة العربية. وإذا كان المقصود رد أصول الإسلام إلى التوراة، فأين أثر تعاليم التوراة تلك في حياة الرسول ﷺ وما بين لقائه ببحيرا وبعثته ثمانية وعشرون سنة!!" (٥٩).

واضح جدا أن لوبون أراد مراوغة القارئ من خلال بعدم الطعن المباشر في الوحي، وإنما ساق قصة سفر النبيّ ﷺ التي لها أصل في كتب السيرة، ثم أقحم فيها مسألة تلقي النبيّ ﷺ علم التوراة من الراهب، والحق أنّ كتب السيرة المعتمدة تذكر أنّ الراهب هو من أراد التعرف على رسول الله ﷺ، ولم تذكر أنّه ﷺ تلقى شيئا من العلوم من الراهب.

ثم نطرح سؤالاً هاهنا: لماذا لم يتلق رسول الله ﷺ من الراهب الإنجيل، فهو راهب نصراني نسطوري، فلماذا اقتصر الرواية التي أوردها لوبون من دون زمام على التوراة؟؟؟

ثانيا: رسالة مُحمَّد [Predications de Mahomet]

في هذا المبحث أحال الدكتور لوبون في موضعين على مؤرخي العرب بالعموم، وفي موضعين أحال على أبي الفداء كما هو مبين في العناصر الآتية:

١ / " فبعد أن كان قائما يتحنث على جبل حراء، الذي يبعد ثلاثة أميال من مكة، مثل ما يفعل كل سنة، جاء خديجة ممتعاً وأخبرها - كما روى مؤرخو العرب - بأنه بينما كان نائها في الجبل إذ سمع جبريل يقرع أذنيه" (٦٠). " A la suite d'une de ses retraites qu'il faisait " annuellement sur le mont Harra a trois milles de la Mecque, il vint trouver sa femme Khadîdja, la figure toute troublée, et lui tint - sivant les histoires Arabes - ce langage: Cette nuit **j'errais** sur la montagne lorsque l'ange Gabriel est venu frapper mes oreilles".

(٥٩) السيرة النبوية الصحيحة مرجع سابق: (١/١١٠). وينظر الدكتور مُحمَّد عبدالله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم: (ص/١٤١). ترجمة مُحمَّد عبد العظيم علي ومراجعة السيد مُحمَّد بدوي، دار القلم الكويت، ط (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م). وهذا الكتاب يمثل رسالة باللغة الفرنسية نوقشت في ١٥ ديسمبر ١٩٤٧م بجامعة باريس.

(٦٠) حضارة العرب: (ص/١٠٣).

كما هو ظاهر أيضا لم يورد لوبون مرجعا لما نقل، وقد تواتر أنّ سماع النبي ﷺ لجبريل عليه السلام لأول مرة كان بغار حراء، وليس كما ذكر لوبون أثناء تجول النبي ﷺ على الجبل، والعجب أنّ الأستاذ زعيتر ترجم قول لوبون: [Cette nuit j'errais sur la montagne] بقوله: " كان تائها في الجبل"، بينما الترجمة الصحيحة هي: "تلك الليلة تجولت على الجبل"، ولا شك أنّ هناك فرق بين التجول والتيه.

٢/ "ورجعت خديجة إلى محمد وأخبرته بقول ورقة، واطمأنت نفسه، فطاف بالكعبة سبع مرات، ثم انصرف إلى منزله، ثم تواتر الوحي عليه كما ذكر أبو الفداء"^(٦١). " Satisfait de cet appui, Mahomet manifesta son allégresse en faisant sept fois le tour de la Kaaba, puis il rentra chez lui, et depuis cette époque – suivant Aboulfeda –, les révélations ne cessèrent de se succéder".

هذا المقطع نقله الدكتور لوبون عن أبي الفداء، وهو عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود الملك المؤيد صاحب حماة، مؤرخ جغرافي، له كتاب "المختصر في أخبار البشر"، ويعرف بتاريخ أبي الفداء^(٦٢)، وقد ترجم إلى الفرنسية، وهو الكتاب الذي نقل منه لوبون.

قال أبو الفداء رحمه الله: "ثم انطلقت خديجة إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها، وكان ورقة قد نظر في الكتب وقرأها وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته ما أخبرها رسول الله ﷺ، فقال ورقة: قدوس والذي نفس ورقة بيده، لئن صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ابن عمران، وإنه نبي هذه الأمة، فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة. ولما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف طاف بالبيت أسبوعاً، ثم انصرف إلى منزله ثم، تواتر الوحي إليه"^(٦٣).

(٦١) الموضوع السابق الموضوع نفسه.

(٦٢) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر: (٤٤١/١) تحقيق محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الهند (١٣٩٢هـ-١٩٧٢). طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي: (٤٠٣/٩) تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢ (١٤١٣هـ). وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبه: (٢٥٦/٢) عالم الكتب بيروت، ط ١ (١٤٠٧هـ).

(٦٣) المختصر في أخبار البشر: (١١٥/١) المطبعة الحسينية مصر (١٩٠٧م).

الملاحظ أنّ الدكتور لوبون كان دقيقاً في النقل عن أبي الفداء إلا في طواف النبي ﷺ بالبيت، فقد ذكر أبو الفداء أن طواف النبي ﷺ دام لمدة أسبوع، بينما عند لوبون أن الطواف كان سبع مرات (٦٤).

٣/ "ولم يُقل ذلك من عزم محمد، وقد قال - كما قال أبو الفداء -: لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الأمر" (٦٥). "Mahomet ne se laissa pas rebuter par ces premières difficultés - suivant Aboulfeda -, il déclara que quand même ses ennemies: placeraient le soleil à sa droite et la lune à sa gauche, il n'abandonnerait pas son œuvre".

ما نقله لوبون عن أبي الفداء أورده ابن إسحاق (٦٦) وغيره، من حديث يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحنس أنه حدث: أن قريشا حين قالوا لأبي طالب: "يا أبا طالب إن لك سنا وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا لا نصبر على هذا من شتم آهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين". بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبى علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، قال: فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، قال: فقال رسول الله ﷺ: فذكره.

إلا أنّ الإسناد ضعيف والقصة بتفاصيلها غير ثابتة، وأحسن منه حديث عقيل بن أبي طالب، قال: "جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا، فأنهه عنا، فقال يا عقيل انطلق فاءتني بمحمد، فانطلقت إليه، فاستخرجته من كبسي - بيت صغير -، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فجعل يطلب الفياء يمشي فيه من شدة الحر الرخص، فلما أتاهم قال أبو طالب: إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديتهم ومسجدهم، فأنته عن أذاهم، فحلقت رسول الله صلى الله ﷺ ببصره إلى السماء، فقال: «أترون هذه الشمس؟» قالوا: نعم، قال: «فما أنا بأقدر

(٦٤) مع التنبيه على أنّ الوحي انقطع فترة بعد ذلك، ولا تعلم مدة الانقطاع بنص موثوق، فاطمأنت نفس النبي ﷺ، وتحياً لاستقبال الوحي فتتابع وكثر كما أشار أبو الفداء رحمه الله. ينظر السيرة النبوية الصحيحة: (١٢٦/١-١٢٧).

(٦٥) حضارة العرب: (ص/١٠٤).

(٦٦) (ص/١٥٤). وينظر: سيرة ابن هشام: (١/٢٦٦)، ودلائل النبوة للبيهقي: (٢/١٨٧) دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤٠٥هـ). والروض الأنف: (٣/١٠).

على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة». فقال أبو طالب: والله ما كذبنا ابن أخي فارجعوا^(٦٧).

٤ / "روى مؤرخو العرب أنّ ملك الحبشة سأل هؤلاء المهاجرين عن دينهم الجديد"^(٦٨). " Les histoires Arabes assurent que quand le roi d'Abyssinie les interrogea sur la religion nouvelle".

ثالثا: محمد بعد الهجرة [Mahomet depuis l'Hegire]

لم تختلف مصادر الدكتور لوبون في هذا المبحث عن سابقه، فأحال إلى عموم المؤرخين والقصص التاريخي وأبي الفداء، كما هو مبين في النقاط الآتية:

١ / "ولم تزل أكلة خبير تعاوده مع حماية الله له، فتوفّي بتأثيرها بعد ثلاث سنين كما روى المؤرخون"^(٦٩). " Malgré la protection du Seigneur, Mahomet se ressentit de l'empoisonnement le reste de sa vie, et les chroniqueurs admettent que ce fut des suites de cet accident qu'il mourut trois ans plus tard".

يطرح لوبون في هذا المقطع شبهة مفادها - فيما أرى - التشكيك في عصمة النبي ﷺ، حيث قال الله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة:٧]، وتذكر الروايات الصحيحة في كتب الحديث والسيرة موت النبي ﷺ متأثرا بالسم الذي وضعته المرأة اليهودية في ذراع الشاة التي أهدتها له، وهذا يتنافى مع وعد الله لنبيه ﷺ بالعصمة وقد أردا لوبون توصيل هذا المعنى للقارئ بقوله: [Malgré la protection du Seigneur].

وهذه مردودة من وجوه:

^(٦٧) ينظر: سيرة ابن إسحاق: (ص/١٥٥)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني: (٣١١/٢) حديث رقم: [٩٠٩] مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني: (١٩٤/١) حديث رقم: [٩٢] مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض.

^(٦٨) حضارة العرب: (ص/١٠٤).

^(٦٩) المرجع نفسه: (ص/١٠٧).

أ/ أنّ العصمة الواردة في الآية الكريمة هي عصمة تبليغ للدين، وقد أكمل النبي ﷺ ذلك على أتم وجه وأكمله.

ب/ أنّ في إخبار الشاة للنبي ﷺ بأنها مسمومة – كما نقل لوبون ذلك بقوله [Mahomet n'alla pas plus loin et declara que la brebis venait de l'avertir qu'elle [etait empoisonnee – أكبر دليل على عصمة النبي ﷺ.

ت/ أنّ النبي ﷺ لم يمّت لم يمّت، وإنما عاش بعدها ثلاث سنوات دون أن يؤثر فيه السم.

ث/ شهادة المرأة اليهودية بنبوتة ﷺ إذ عُصم من السم، وقال لوبون نفسه: [Amenee devant le prophete, la fille d'Israel fit une declaration tres subtile qui lui sauva la vie: il n'y a point de prophete dit-elle qui n'ait des revelations celestes; j'ai voulu sit u n'etais qu'un imposteur venger les malheurs de ma patrie, et sit u etait veritablement l'envoye du seigneur, je savaisqu'il ne te laisserait pas succomber sous de tells [embuches.

٢/ "وقد قصّ التاريخ علينا أن رسولاً محمّداً وصل إلى كسرى حين كان السفراء يمضون معاهدة السلم بين كسرى وهرقل" (٧٠). " L'histoire a conservé le souvenir de le façon dont fut reçu celui qu'il adressa au roi des Perses".

٣/ "قال أبو الفداء: ثم رجع إلى المدينة وبدأ به مرضه وهو في بيت زينب بنت جحش... فأذن له في أن يُمرّضَ في بيت عائشة، فانتقل إليه" (٧١). " De retour à Médine, il tomba bientôt gravement malade, il était alors – dit Aboulfeda – dans la maison de Zainab fille de Djahsch... Elles y consentirent aussitôt, et on le porta dans la maison de Aieshscha".

(٧٠) حضارة العرب: (ص/١٠٨).

(٧١) المرجع نفسه: (ص/١٠٩). ينظر تاريخ أبي الفداء: (١/١٥١).

رابعاً: حياة محمد وأخلاقه [Caractere et vie privee de Mahomet]

لم يضيف الدكتور لوبون مصدراً في نقل السيرة على ما تقدم ذكره في المبحثين السابقين، وقد صرح بأنّ اعتماده عموم الآثار وكتاب أبي الفداء، فقال: "تكلّمنا عن حياة محمد العامة فيما تقدّم، والآن نبحث في أخلاقه وحياته الخاصة، مستعينين بأسانيد العرب وآثارهم، قال المؤرخ العربي أبو الفداء في وصف محمد مستندا إلى ما روي عن أصحابه"^(٧٢). " Nous nous sommes surtout occupe dans ce qui précède de la vie publique de Mahomet. Il nous reste maintenant à essayer de reconstituer le caractère et la vie du prophète, d'après les documents que les Arabes nous ont laissés. L'historien arabe Aboulfeda donne – d'après les descriptions des contemporains, le portrait suivant de Mahomet".

وقد التزم ذلك كما في المواضع الآتية:

١/ " يضاف إلى الوصف السابق ما رواه مؤرخو العرب الآخرون"^(٧٣). " A la description qui précède, on peut ajouter – d'après les autres chroniqueurs arabes".

٢/ "وروى أبو الفداء أنّ محمّداً ذكر أنه كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء سوى أربع"^(٧٤). " Au dire d'Aboulfeda, Mahomet assurait qu'on compte un certain nombre d'hommes accomplis, mais que parmi les femmes on n'en peut citer que quatre".

٣/ "وقيل إن محمّداً كان مصاباً بالصرع، ولم أجد في تواريخ العرب ما يبيح القطع في هذا الرأي"^(٧٥). " On a assuré que Mahomet était épileptique, mais je n'ai

^(٧٢) حضارة العرب: (ص/١١٠).

^(٧٣) المرجع نفسه: (ص/١١١).

^(٧٤) المرجع نفسه: (ص/١١٣).

^(٧٥) المرجع نفسه. وقد تقدم التعليق حول هذه المسألة في المبحث الأول: فتوة محمّد.

rien trouve dans les chroniques arabes qui permette de se prononcer avec certitude sur ce point".

فبعد هذه الجولة والنظر فيما كتبه الدكتور لوبون حول مباحث السيرة، يلاحظ أن غالب كلامه كان مرسلا، وطريقته في كتابه "عدم توثيق لما كتب، وعدم عزوه ما اقتبس إلى مصادره، كما أنه لم يقدم الأمثلة على رأيه المطروح، وعندما نقل بعض الآراء من مصادرنا، لم يذكر اسم المصادر التي اعتمدها، أو اقتبس منها، بل قال في أكثر من موضع بصيغة التمريض والارتياب: ويروي مؤرخو العرب، على زعم كتب السيرة... دون أن يذكر من هم هؤلاء المؤرخون، أو يحدد أي كتب السيرة التي تزعم، واكتفى بسرد أسماء عشرات الكتب في نهاية الكتاب على أنها مصادره"^(٧٦).

المطلب الثاني: رؤية نقدية حول توجيه الدكتور لوبون للسيرة النبوية.

يهدف هذا المطلب إلى تتبع مقاطع السيرة النبوية وما نقله الدكتور لوبون حول شخص النبي ﷺ ومناقشتها نقاشا علميا مبني على الأدلة والبراهين.

يقول الأستاذ زعيتر متحدثا عن لوبون: "أشاد بفضل الرسول الأعظم على العرب وزعامته الكبرى لهم، فالرسول في نظره «كان يبدو رابط الجأش إذا ما هُزم ومعتدلا إذا ما نصر». وذهب لوبون إلى أنّ الرسول الأعظم «كان شديد الضبط لنفسه، كثير التفكير، صموتا حازما، سليم الطوية... صبورا، قادرا على احتمال المشاق، ثابتا، بعيد المهمة، لين الطبع، وديعا... وكان مقاتلا ماهرا، فكان لا يهرب أمام المخاطر، ولا يلقي يديه إلى التهلكة، وكان يعمل ما في الطاعة لإنهاء خلق الشجاعة والإقدام في بني قومه... وكان عظيم الفطنة».

ورأى لوبون أنّ السيد الرسول الذي كانت تلك صفاته، أتى العرب الذين لا عهد لهم بالمثل العليا، بمثل عال اهتموا به، فاكتسب العرب بهذا المثل العالي آمالا متماثلة، وتوجّهت به جهودهم إلى غرض واحد، وصاروا مستعدين للتضحية بأنفسهم في سبيل نشره في أنحاء الدنيا، ثم قال: «إنّ محمّدا أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الإسلام، ومنها اليهودية والنصرانية، ولذلك كان فضل محمّد على العرب عظيما... وإذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم

^(٧٦) ينظر: في الميزان غوستاف لوبون شوقي أبو خليل: (ص/١٢).

كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ... والتعصب الديني هو الذي أعمى بصائر مؤرخي الغرب عن الاعتراف بفضل محمد^(٧٧).

لا شك أنّ قارئ هذا المقطع سيصنف الدكتور لوبون من المعجبين برسول الله ﷺ، فإنّ ظاهره يفيد ذلك، ولهذا "يرى بعض الباحثين العرب والمسلمين من آراء غوستاف لوبون إذا امتدح ديننا الإسلامي وتعاليمه، ورسوله الأعظم ﷺ بأنّه اعتراف منصفٍ ومعتدلٍ من هذا المستشرق، على اعتبار أنه خالف آراء أقرانه من المستشرقين، الذين دفعتهم أحقادهم نحو الإسلام ورسوله على ألا يقولوا إلا كل ما يمسّ بكرامة وسمعة رسولنا ويشوه سمعة ديننا الحنيف"^(٧٨).

فهل الدكتور لوبون خالف المستشرقين، فلم يمس بكرامة رسولنا المصطفى ﷺ ولم شوه سمعته؟ وفيما يلي إجابة عن هذا السؤال معتمدا في ذلك على تتبع جملة من المقاطع التي أوردها لوبون في كتابه عن سيرة النبي ﷺ^(٧٩).

الموضع الأول: قال لوبون: "ورأى العرب أن يقرنوا ميلاد زعيمهم الأعظم بالآيات، فرووا أنّ العالم اهتز لولادته، وأنّ نار الجحوس المقدسة خبت، وأنّ شياطين الشر دُحرت من أعلى الشهب، وأنّه تصدّع من أبراج إيوان كسرى «ملك الملوك» أربع عشر برجاً إيذاناً بقرب انهيار دولة الفرس العظمى"^(٨٠). " Les Arabes se sont plu à accompagner de prodiges la naissance de leur grand homme. Le monde s'émut – suivant eux – à l'apparition du futur prophète. Le feu sacre s'éteignit chez les mages, les génies du mal furent précipités du haut des étoiles. Quatorze des tours du palais de Chosroës – le roi des rois –

^(٧٧) مقدمة حضارة العرب: (ص/٧).

^(٧٨) ينظر: الحركة الاستشراقية ومنهج التضييل (كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون أنموذجا) دراسة في موقف الاستشراق المضلل من السنة النبوية الشريفة: ص/٢١٢ مقال نشر ضمن أعمال السنة النبوية والتحديات المعاصرة.

يراجع الرابط الآتي: <https://www.researchgate.net/publication/333973687>

^(٧٩) تقدم التعليق على بعض ما أورده الدكتور لوبون من المقاطع من ذلك، ولهذا لن أتعرض لها في هذا المبحث. كما أنّي لم أعلق على ما وقع حوله خلاف بين ناقلي السيرة النبوية كتاريخ ولادة النبي ﷺ، وإنما الغرض نقد ما أثار لوبون حوله الشبهات. وللوقوف على مزيد من أخطاء لوبون ينظر كتاب شوقي أبو خليل في الميزان غوستاف لوبون.

^(٨٠) حضارة العرب: (ص/١٠١).

s'écroulèrent avec fracas, comme pour annoncer la ruine prochaine du gigantesque empire des Pesses".

لقد بدأ الدكتور لوبون كتابه عن حضارة العرب بكل موضوعية، إلا أنه اغتم الفرصة هنا ليشير الشكوك حول الآيات التي ظهرت عند ولادة النبي ﷺ، وهو بذلك يجيد عن أسلوب غيره من المستشرقين في طعنهم المباشر في مثل هذه الدلائل والآيات، وإنما اتهم العرب بافتعال ذلك، ومن الواضح أن مبعث كلام لوبون حول تلك الدلائل هو عدم إيمانه بها، إذ لو كان موضوعيا كما كان في حديثه عن حضارة العرب لأحال إلى كتب التاريخ والسيرة، والظاهر أنّ أسلوب التشكيك في معجزات النبي ﷺ هي منهج ارتضاه الدكتور لوبون، كما تقدم عرضه عند تشكيكه في حادثة شق الصدر، وأنّ الموضوعية لم تكن هدفه بقدر الوصول إلى بك الشك والريب.

الموضع الثاني: قال لوبون: "ولم يخبرنا التاريخ عن سيرة مُحَمَّد في السنين الخمس عشرة التي انقضت بعد زواجه بخديجة، ويُفترض - وإن لم يقدّم دليل على ذلك - أنه كان يفكر في أثنائها في مبادئ دينه الذي سيكون زعيمه، ولم يبد منه في تلك السنين أي نفور من عبادات العرب مع ذلك، كما أنه لم يقع فيها ما يدل على تفكيره في قلب تلك العبادات رأساً على عقب"^(٨١). " La chronique ne dit rien des quinze années qui suivirent le premier mariage de Mahomet. On suppose - assez gratuitement du reste - qu'il élaborait les dogmes de la future religion dont il devait être le chef. IL ne manifestait cependant aucune répugnance à accepter le culte national, et rien n'indique qu'il songeait à la renverser".

الظاهر أنّ معلومات الدكتور لوبون قد خانتها؛ فإنّ كتب السيرة ذكرت في هذه الفترة عدة أحداث، منها تحاكم قريش إلى النبي ﷺ في موضع الحجر الأسود، وإيداع القرشيين الودائع عنده ﷺ لحفظها فسمي بوصف بالصادق الأمين، وتحنّته ﷺ في غار حراء.

ولم يكتف لوبون بما تقدم ذكره، بل قاد ذهن القارئ إلى افتراضية عقلية تتمثل في ملء النبي ﷺ أحداث تلك السنين التي لم تنقل لنا كتب التاريخ - حسب زعمه شيئاً عن سيرته - بالتفكير في مبادئ دينٍ سيكون هو زعيمه، وصولاً بالقارئ إلى التشكيك في ربانية دين الإسلام، وأنه من تراكمات فكرية اجتمعت عند محمد ﷺ.

^(٨١) المرجع السابق: (ص/١٠٣).

ثم إن "افترضنا قبول ما يقول، فكيف يفكر محمد ﷺ في إقامة دين على أسس الوجدانية، وعدم الشرك بالله تعالى، ثم نقبل أن هذا التفكير لا يقلب عبادات مجتمعة رأساً على عقب، فالوجدانية لله الخالق العظيم لا تتفق أبداً مع عبادة الأصنام والأوثان التي كان عليها العرب قبل الإسلام"^(٨٢).

الموضع الثالث: قال: "ورأى محمد بعد ذلك الإخفاق"^(٨٣) أن يُرَوِّح أصحابه، فَخَفَّ بهم إلى مدينة خيبر المحصنة، الواقعة في شمال المدينة الغربي والبعيدة منها مسيرة خمسة أيام، والتي كانت تقطن فيها قبائل يهودية، والتي كانت مقرة تجارة اليهود، ففتحتها عنوة"^(٨٤). " Pour consoler ses disciples de cet échec, Mahomet les conduisit contre Khaibar, ville importante à cinq journées au nord-est de Médine, habitée par des tribus juives, et qui était l'entrepôt de leur commerce. Bien que cette ville fut solidement fortifiée, il réussit à s'en emparer".

هكذا يرى لوبون بأنّ الدافع لفتح خيبر كان تسليّةً من النبي ﷺ لأصحابه ﷺ عن مصابهم المتمثل في خيبتهم بعدم تمكنهم من أداء العمرة.

والمؤسف أن لوبون ابتعد عن الموضوعية بمسافة بعيدة جداً، والحقيقة غير ذلك تماماً، فإن يهود خيبر أظهروا عداءهم للمسلمين بعدما "نزل فيهم زعماء بني النضير، الذين حز في نفوسهم إجلاؤهم عن ديارهم، ولم يكن الإجلاء كافياً لكسر شوكتهم، فقد غادروا المدينة... وكان من أبرز بني النضير الذين نزلوا في خيبر: سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحبي بن أخطب، فلما نزلوا دان لهم أهلها. وكان تزعم هؤلاء ليهود خيبر كافياً في جرّها إلى الصراع والتصدي للانتقام من المسلمين، فقد كان يدفعهم حقد دفين ورغبة قوية في العودة إلى ديارهم داخل المدينة.

وكان أول تحرك قوي ما حدث في غزوة الأحزاب، حيث كان لخبيبر - وعلى رأسها زعماء بني النضير - دور كبير في حشد قريش والأعراب ضد المسلمين وتسخير أموالهم في ذلك، ثم سعيهم الناجح في إقناع بني قريظة بالغدر والتعاون مع الأحزاب.

^(٨٢) في الميزان غوستاف لوبون شوقي أبو خليل: (ص/٧٨).

^(٨٣) مراده عدم تمكن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ من أداء العمرة يوم صلح الحديبية.

^(٨٤) حضارة العرب: (ص/١٠٧).

فلما ردّ الله الأحزاب عن المدينة خائبين، اهتمّ الرسول ﷺ بمعالجة الموقف في خير، التي صارت مصدر خطر كبير على المسلمين... ولكن القضاء على بعض الزعماء لا يكفي لإزالة الخطر عن المسلمين، وكانت معاهدة الحديبية التي وقعت سنة ست من الهجرة بين المسلمين وقريش، قد أتاحت الفرصة أمام المسلمين ليتفرغوا لفتح خيبر^(٨٥)، فتلك هي أسباب ودوافع غزو خيبر.

الموضع الرابع: قال: "ولما أحسنّ محمّد نمو سلطانه عزم على فتح مكة"^(٨٦). [Sentant son influence grandir chaque jour, Mahomet résolut de faire une [nouvelle tentative pour s'emparer de le Mecque".

لا شك أنّ الإسلام يدعو إلى تنمية القوة، إلّا أنّ ما ذكره لوبون بعيد أيضا عن الحقيقة، فإنّ الروايات^(٨٧) تشير إلى أنّ النّبّي ﷺ أرسل إلى قريش بعد ما أعانت حلفاءها من بني بكر على خزاعة حليفة المسلمين "يخيزهم بين بدفع دفع دية قتلى خزاعة أو البراء من حلف بني بكر أو القتال، فاختارت القتال، ثم ندمت وأرسلت أبا سفيان إلى المدينة يطلب تجديد المعاهدة، لكنه فشل في الحصول على وعد بتجديد المعاهدة"^(٨٨).

الموضع الخامس: قال لوبون: "ويقال إنّ محمّدا كان قليل التعليم ونرجح ذلك، وإلا لوجدت في تأليف القرآن ترتيبا أكثر مما فيه، ونرجح أيضا أن محمّدا لو كان عالما لما أقام دينا جديدا، فالأميون وحدهم هم الذين يعرفون كيف يُدرك أمر الأميين"^(٨٩). [On assure qu'il était peu lettré, et] la chose est probable aussi que si Mahomet avait été un savant, il n'eut pas fondé une religion nouvelle. Les illettrés seuls savent [bien se mettre à la portée des illettrés

من الواضح أن الدكتور لوبون ينسب تأليف القرآن الكريم إلى النّبّي ﷺ، وهنا أيضا نورد جملة من التساؤلات: "متى كان الأنبياء يؤلفون الكتب، ويرتبون الآيات؟ وهل فعل الأنبياء قبل محمّد ﷺ

^(٨٥) السيرة النبوية الصحيحة: (٣١٩/١-٣٢٠).

^(٨٦) حضارة العرب: (ص/١٠٧).

^(٨٧) ينظر: المغازي للواحدي: (٧٨٦/٢)، والبداية والنهاية: (٢٧١/٤)،

^(٨٨) السيرة النبوية الصحيحة: (٤٧٣/٢). ولا شك أنّ عدد المسلمين الذين توجهوا لفتح مكة يدل على تعاضم قوتهم بين الحديبية وفتح مكة، وليس هو الدافع للفتح كما ذكر لوبون، وعلى فرض صحة ذلك فلا عيب في ذلك، فإنّ القوة هي أحد عناصر تحقق النصر للجيش.

^(٨٩) حضارة العرب: (ص/١١١).

ذلك، حتى يقول لوبون مثل هذا القول؟ وما دام مفكر كبير وفيلسوف عظيم مثل لوبون يرجح أنّ محمّداً ﷺ قليل التعليم، فهل يأتي رجل قليل التعليم بكتاب فيه من التشريعات الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ناهيك عن التشريعات الدينية والروحية" (٩٠).

ولنفرض جدلاً أن القرآن الكريم من تأليف رسول الله ﷺ، "فكيف يستطيع أي رجل ولو كان كثير العلم في مثل تلك الظروف، وفي ذلك الوقت من التاريخ، أن يأتي بمثل ذلك الكتاب، الذي ما يزال معجزة الإسلام الباقية حتى اليوم؟" (٩١).

نعم نقول وبكل فخرٍ واعتزازٍ وتحدٍ: إنّ رسول الله ﷺ أمّيّ "جاء يُعجِّزُ العلماء، وبما يفتح أمام عقول العلماء آفاق البحث والتفكير، فكان بما جاء به معجزةً خالدةً أبد الدهر، لا تنقضي بموت صاحبها، فليس شأنها شأن المعجزات والخوارق التي أمست تاريخاً ليس غير" (٩٢).

الموضع السادس:

قال: "وضعف محمّد الوحيد هو حبّه الطارئ للنساء... ولم يُخفِ محمّدُ حبّه للنساء، فقد قال: «حَبَّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثَ: الطَّيِّبِ، وَالنِّسَاءِ، وَجَعَلْتَ قِرَةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» (٩٣). ولم يبال محمّد بسنّ المرأة التي يتزوجها، فتزوج عائشة وهي نبت عشر سنين، وتزوج ميمونة وهي في الحادي والخمسين من سنّها. وأطلق محمّد العنان لهذا الحب، حتى إنّهُ رأى اتفاقاً زوجةً ابنه بالتبني وهي عارية، فوقع في قلبه منها شيء، فسرحها بعلمها ليتزوجها مُحمّد، فاغتم المسلمون، فأوحي إلى محمّد بواسطة جبريل الذي كان يتصل به يومياً آياتٌ تسوّغ ذلك، وانقلب الانتقاد إلى سكوت" (٩٤). "La seule faiblesse de Mahomet fut son amour pour les femmes... Il ne se cachait pas de cette passion: «Les choses que j'aime le plus au monde disait-il,

(٩٠) في الميزان غوستاف لوبون شوقي أبو خليل: (ص/٩٦).

(٩١) المرجع نفسه.

(٩٢) المرجع نفسه: (ص/٩٧).

(٩٣) اشتهر على الألسنة زيادة لفظ: (ثلاث)، وقد نبه العلماء على أنّها مفسدة للمعنى؛ لأن الصلاة ليست من أمور الدنيا كما هو الشأن في (الطيب والنساء). ينظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني: (١٤/١٠٢٦) حديث رقم: [٦٩٤٠].

(٩٤) حضارة العرب: (ص/١١٢).

ce sont les femmes et les parfums; mais ce qui me réconforte le plus l'âme, c'est la prière». Il était peu scrupuleux sur l'âge des femmes qu'il épousait: Aiescha n'avait que dix ans quand il la prit pour épouse; mais Maimouna en avait cinquante et un. Cette passion était poussée plus loin chez lui, qu'ayant vu **par hasard** en déshabillé la femme de son fils adoptif, il éprouva un tel désir de la posséder, que ce dernier dut divorcer avec elle pour la lui céder. Les musulmans se montrèrent scandalisés; mais l'ange Gabriel avec lequel le prophète était en rapports journaliers, déclara l'opération régulière; et son approbation ayant été inscrite au Coran, les critiques furent réduits au silence".

هكذا يصور لوبون النبي ﷺ، فلم يخفِ طعنه في تعدد زواج النبي ﷺ واتهامه بالشهوانية، فقد سلك سبيل كثير من المستشرقين في تناولهم مباحث سيرة النبي ﷺ إلى "تشويه سمعة النبي ﷺ وتمثيله لأتباعه في صورة معيبة لا تلائم شرف النبوة، ولا يتصف صاحبها بفضيلة الصدق في طلب الإصلاح، وأي صورة تغنيهم في هذا الغرض الأثيم كما تغنيهم: صورة الرجل الشهواني الغارق في لذات الجسد، العازف في معيشته البيتية ورسالته العامة عن عفاف القلب والروح"^(٩٥).

في هذا المقطع من سيرة رسول الله ﷺ اختفت تماما الموضوعية التي كان يتحلى بها لوبون في حديثه عن حضارة العرب، "ولو أنصف لتحدث عن عفته ﷺ في شبابه، وقبل زواجه، وقد أشار فيما كتب إلى اقتصاره ﷺ على زوجة واحدة حتى بلغ الخمسين من عمره"^(٩٦).

^(٩٥) ينظر: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد: (ص/١٤١) دار نهضة مصر القاهرة، ط٤ (٢٠٠٥هـ). ومباحث السيرة النبوية في "دائرة المعارف الإسلامية" - دراسة تحليلية نقدية - للدكتور محمد بن فيدة: (٧٢/١). أطروحة دكتوراه نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية كلية أصول الدين بقسم الكتاب والسنة سنة ٢٠١٨م، تحت إشراف أد/ حميد قوفي.

^(٩٦) ينظر: في الميزان لشوقي أبو خليل: (ص/٩٨).

وهنا أسوق كلاماً - وإن طال بعض الشيء - للدكتور محمد سعيد البوطي يشفي صدور قوم مؤمنين، قال رحمه الله: "ولكن محمداً تجاوز هذه الفترة - الخمسون سنة من عمره - دون أن يفكر كما قلنا أن يضمّ إلى خديجة مثلها من الإناث: زوجة أو أمة، ولو شاء لوجد الزوجة وكثير من الإماء... وفي هذا ما يُلجم أفواه أولئك الذين يأكل الحقد أفنتهم على الإسلام وقوة سلطانه، من المبشرين والمستشرقين وعبيدهم الذين يسيرون من ورائهم، ينعقون بما لا يسمعون إلا دعاءً ونداءً... فقد ظنوا أنّهم واجدون في موضوع زواج النبي ﷺ مقتلاً يصاب منه الإسلام، ويمكن أن يشوّه من سمعة محمد ﷺ، وتخيّلوا أنّ بمقدورهم أن يجعلوه عند الناس في صورة الرجل الشهوان الغارق في لذة الجسد، العازف في معيشته المنزلية العامة عن عفاف القلب والروح". ثم تحدث على معظم المبشرين والمستشرقين قائلاً: "أجل، فإنّ محاصمتهم للإسلام ليست إلا مجرد شارة يسمون بها أنفسهم بين قومهم وبني جلدتهم، وليس عملاً فكرياً لقصد البحث والحجاج.

والإفموضوع زواج النبي ﷺ من أهون ما يمكن أن يستدل منه المتبصر، العارف بدينه والمطلع على سيرة نبيه، على عكس ما يروجه خصوم هذا الدين تماماً.

يريدون أن يلصقوا به ﷺ صورة الرجل الشهواني الغارق في لذات الجسد، وموضوع زواجه عليه الصلاة والسلام هو وحده الدليل الكافي على عكس ذلك تماماً، فالرجل الشهوان، لا يعيش إلى الخامسة والعشرين من العمر في بيئة مثل بيئة العرب في جاهليتها، عفيف النفس، دون ان ينساق في شيء من التيارات الفاسدة التي تموج من حوله. والرجل الشهوان لا يقبل بعد ذلك ان يتزوج من أيم لها ما يقارب ضعف عمره، ثم يعيش معها دون أن تمتدّ عينه إلى شيء مما حوله وإنّ من حوله الكثير، وله إلى ذلك أكثر من سبيل، إلى أن يتجاوز مرحلة الشباب، ثم الكهولة، ويدخل في مدارج الشيخوخة". ثم أشار الحكمة من زواجه من نسائه، ثم قال: "وأياً كانت الحكمة والسبب، فإنّه لا يمكن أن يكون مجرد قضاء الوطر واستجابةً للرغبة الجنسية، إذ لو كان كذلك لكان أحرى به أن يستجيب للوطر والرغبة النفسية في الوقت الطبيعي لهذه الرغبة وندائها: خصوصاً وقد كان إذ ذاك خالي الفكر ليس له من هموم الدعوة ومشاغلها ما يصرفه عن حاجاته الفطرية والطبيعية. ولسنا نرى الإطناب في الدفاع عن زواجه عليه الصلاة والسلام، على نحو ما يفعل كثير من الباحثين، إذ لا نعتقد أنّ ثمة مشكلةً تحتاج إلى النظر أو

البحث، وإن أوهم خصوم الإسلام ذلك. وُرِبَّ حق من حقائق الإسلام، لا يطمع خصومه لإبطاله، بأكثر من استجرار المسلمين إلى مناقشة دفاعية في شأنه" (٩٧).

وأما ذكره لوبون عن رؤيته زينب عليها السلام، فقصة مردودة شرعا وعقلا، فإنها ربيّت تحت نظره ولا يخفى عليه جمالها، وزواج زينب من زيد تقرير شرع وتنفيذ حكم إلهي (٩٨).

كما أن اتّهامه جبريل عليه السلام بالتواطؤ مع النّبي صلى الله عليه وآله في تطبيق زينب من زوجها واضح، بل ختم الله القرار بإنزال آيات قرآنية تدعم الحكم، الأمر الذي جعل المسلمين يسلمون للتعاليم الربانية. فأين هي الموضوعية التي اشتهر بها لوبون، وما دليله على ما ذكر؟ سؤال يجيب عنه المعجبون.

الموضع السابع: قال: "ويجب عدُّ محمّدٍ من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح" (٩٩). "Au point de vue scientifique, il faut classer évidemment Mahomet – comme la plupart des fondateurs de religions – dans la grande famille des aliénés".

يقول شوقي أبو خليل: "يستعمل الدكتور لوبون كلمات كنّا نتمنى ليبقى في مكانة العالم المنصف بعيدا عن استعمالها، من ذلك كلمة الهوس، وخصوصا حين يتحدث عن الرسول العظيم صلى الله عليه وآله... فهل يصح أو يليق لمؤرخ منصف أن يكتب عن محمّد صلى الله عليه وآله، صاحب الأثر العميق في أمته وفي البشرية

(٩٧) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة: (ص/٨٢-٨٣). دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق، ط ١٠ (١٤١١هـ-١٩٩١م).

(٩٨) لمزيد دحضٍ لهذه الشبهة، ينظر في الميزن شوقي أبو خليل: (ص/١٠٥). ومن جملة ادعاءات لوبون وافتراءاته: تشكيكه في بوفاء نساء النّبي صلى الله عليه وآله. وكفي للرد على هذه الفرية عدم ذكر مصدر واحد، والواقع يشهد بخلاف ذلك. ينظر كتاب شوقي أبو خليل: (ص/١٠٥ وما بعدها).

(٩٩) حضارة العرب: (ص/١١٤). وقد وصف لوبون النّبي صلى الله عليه وآله بالمتهوس في أكثر من موضع من كتابه، وقد اكتفى المترجم عند هذا الموضع بقوله: "هذه العبارات من نيزات المستشرقين، ولا تتفق مع كرامة النّبي محمّد، ولا شاهد لها من الواقع". وهنا يحق لنا أن نسأل: هل ما تقدم ذكره عن لوبون من افتراءات على النّبي صلى الله عليه وآله لها شاهد من الواقع حتى يسكت مترجم الكتاب عن ردّها؟

جمعاء، كما يكتب عن أناس دفعتهم أنانياتهم وعصبياتهم ومطامعهم إلى ادّعاء نبوة كاذبة، مثل الأسود العنسي، أو طليحة بن خويلد الأسدي، أو مسيلمة الكذاب^(١٠٠).

ويعلم الله كم تمنيت أن يكون مراد لوبون بالهوس المعنى الذي أورده العلامة الفراهيدي، حيث قال رحمه الله: "الهوس: الطوفان بالليل والطلب في جراءة، تقول: أسد هواس، ورجل هواس، أي: مجرب شجاع"^(١٠١)، إلا أن الكلمة التي عبّر بها لوبون "aliénés" معناها المجنونة، وهو المعنى الذي ذكرته معاجم اللغة العربية للهوس بمعنى: طرف من الجنون^(١٠٢).

إنّ ما ذكره لوبون في هذا الموضوع اعتداء صارخ صريح على شخص النبي ﷺ وسيرته العطرة، فإن كلمة (هوس) "تقال لمن تدور في نفسه وأفكاره أمور غير واضحة، وتظهر بانفعالات مختلفة، أمّا رسول الله ﷺ فما عرف في حياته قبل البعثة وبعدها إلا الاتزان، وحسن التفكير، وبعد النظر"^(١٠٣). وكان بإمكان لوبون أن يقيم الدليل على افتراءه إن وجد، الأمر الذي لم يتم، فأين الموضوعية؟

وبعد: "لقد وصف لوبون آثار حضارتنا فأجاد، ودافع عن فتوحاتنا فأنصف، كل ذلك بروح علمية عالية المستوى قوية الحجّة، ولكن يصدم الدارس (لحضارة العرب) بعد هذا الإنصاف بأقواله في القرآن، وفي الرسول الكريم ﷺ، وفي الإسلام عقيدة.

أليس من الظلم والجور والقول: إن محمدا ﷺ كان من (المتهوسين)؟

أليس من التحامل القول: إنّ القرآن من تأليف محمّد، وشاهد من شواهد عبقريته؟

أليس من الافتراء القول: إنّ الإسلام مقتبس من عناصر يهودية ونصرانية؟

^(١٠٠) في الميزن شوقي أبو خليل: (ص/٦٣-٦٤).

^(١٠١) كتاب العين: (٧١/٤). تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

^(١٠٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي: (٤٦/١٧)، ولسان العرب: (٢٥٢/٦)، ومختار الصحاح للرازي: (ص/٧٠٥).

^(١٠٣) ينظر: الحركة الاستشراقية ومنهج التضييل، مرجع سابق: (ص/٢٢١).

ومن حق لوبون والاستشراق أن يقول، وأن يتناول بالتحليل والنقد والدراسة والتعليق، ومن حقنا الرد والتصويب وتفنييد الخطأ، لأنّ السكوت عمّا يقال أو يقدّم، يعني تسليمًا ضمنيًا بآراء الاستشراق وطروحاته^(١٠٤).

^(١٠٤) في الميزان شوقي أبو خليل: (ص/١١-١٢).

الخاتمة

وفي الختام أسجل نتائج البحث، مع ذكر بعض التوصيات أراها مهمة في مجال نقد المستشرقين والاستشراق.

أولاً: نتائج البحث:

- يعد لوبون من المستشرقين الأوروبيين الذين أنصفوا العرب وحضارتهم.
- لم يختلف لوبون عن المستشرقين في الطعن في ربانية الإسلام من خلال الزعم بأن النبي ﷺ لفق دينه من الأديان السابقة.
- لم يختلف لوبون عن المستشرقين في الزعم بأن القرآن الكريم من تأليف النبي ﷺ.
- لم يختلف لوبون عن المستشرقين في الطعن في تعدد زواج النبي ﷺ واتهامه بالشهوانية.
- عدم اعتماد لوبون على مصادر أصيلة في نقل أحداث السيرة النبوية.
- اعتماد لوبون على منهج البناء والهدم، حيث يعتمد هذا المنهج على عنصرين: الأول: البناء المرتكز على الإطراء والمديح لبعض الجوانب، ثم الثاني: الهدم وفيه يجرد المستشرق أهم أركان الموضوع من مقوماته الأساسية حتى يسقطه تماماً.
- تشكيك لوبون القارئ في بعض تصرفات النبي ﷺ كما فعل في غزوة خيبر.
- أن موقف المترجم الأستاذ زعيتر مريب جداً، حيث لم يعقب على لوبون في افتراءه على شخص رسول الله ﷺ.
- من المهم اعتماد العقل والمنطق في الرد على المستشرقين، مع عدم إغفال بيان قيمة الروايات وطريقة عرضها وتوجيهها.
- الموضوعية التي التزمها لوبون في الحديث عن حضارة العرب المادية غابت تماماً في مباحث السيرة النبوية.

ثانياً: أهم التوصيات:

مما يوصى به الآتي:

- أولاً: الانتفاع بكتاب حضارة العرب بإعادة التحقيق والتعليق بما ينصف النبي ﷺ.
- ثانياً: الاستمرار في عقد الملتقيات حول سيرة النبي ﷺ ورد الشبهات حولها.
- ثالثاً: أقتراح على اللجنة الموقرة للملتقى المبارك تنظيم تظاهرة علمية حول الصحابة في أديان المستشرقين.

هذا... وأسأل الله تعالى أن يمنّ علينا بالفهم الصحيح، والقلب السليم، والنية الصادقة، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على نبيّنا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

١. الاستشراق والعلوم الإسلامية بين نقلانية التأصيل وعقلانية التأويل، للأستاذ الدكتور مُجَدَّ خروب، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش، ط ١ (٢٠١٧م).
٢. الأعلام لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين بيروت لبنان، الطبعة الخامسة عشرة ٢٠٠٢م.
٣. تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي. تحقيق مجموعة من الباحثين، دار الهداية.
٤. الحركة الاستشراقية ومنهج التضليل (كتاب حضارة العرب لغوستاف لوبون أنموذجا) دراسة في موقف الاستشراق المضلل من السنة النبوية الشريفة. مقال نشر ضمن أعمال السنة النبوية والتحديات المعاصرة. يراجع الرابط الآتي: <https://www.researchgate.net/publication/333973687>
٥. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد. دار نهضة مصر القاهرة، ط ٤ (٢٠٠٥هـ).
٦. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر. تحقيق مُجَدَّ عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الهند (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م).
٧. دلائل النبوة للبيهقي. دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ (١٤٠٥هـ).
٨. الروض الأنف للسهيلي. تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ١ (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).
٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض.
١٠. سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض.
١١. سيرة ابن إسحاق. تحقيق سهيل زكار، دار الفكر بيروت، ط ١ (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).
١٢. سيرة ابن هشام تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى بابي الحلبي مصر، ط ٢ (١٣٧٥هـ-١٩٥٥م).

١٣. السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري. مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، ط٦ (١٤١٥هـ-١٩٩٤م).
١٤. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة. مُجَّد مُجَّد بن سويلم أبو شهبه. دار القلم دمشق، ط٨ (١٤٢٧هـ).
١٥. طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي. تحقيق محمود مُجَّد الطناحي وعبد الفتاح مُجَّد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ (١٤١٣هـ).
١٦. طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه. عالم الكتب بيروت، ط١ (١٤٠٧هـ).
١٧. غوستاف لوبون، فايز بن علي الشهري، المركز الثقافي للكتاب الدرا البيضاء/ المغرب، ط١ (٢٠١٩م).
١٨. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، الدكتور سعيد رمضان البوطي. دار الفكر المعاصر بيروت، دار الفكر دمشق، ط١٠ (١٤١١هـ-١٩٩١م).
١٩. في الميزان غوستاف لوبون للدكتور شوقي أبو خليل. دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ودار الفكر دمشق، ط١ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
٢٠. كتاب العين الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٢١. لسان العرب لابن منظور الإفريقي. دار صادر بيروت، ط١.
٢٢. مباحث السيرة النبوية في "دائرة المعارف الإسلامية" - دراسة تحليلية نقدية - للدكتور مُجَّد بن قيدة. أطروحة دكتوراه نوقشت بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية كلية أصول الدين بقسم الكتاب والسنة سنة ٢٠١٨م، تحت إشراف أد/ حميد قوفي.
٢٣. مختار الصحاح للرازي. مكتبة لبنان ناشرون بيروت، طبعة جديدة منقحة (١٤١٤هـ-١٩٩٥م).
٢٤. المختصر في أحبار البشر، لأبي الفداء. المطبعة الحسينية مصر (١٩٠٧م).

٢٥. مدخل إلى القرآن الكريم، الدكتور مُجَّد عبدالله دراز. ترجمة مُجَّد عبد العظيم علي ومراجعة السيد مُجَّد بدوي، دار القلم الكويت، ط (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

٢٦. ودلائل النبوة لأبي نعيم. تحقيق مُجَّد رواس قلعه جي وعبد البر عباس، دار النفائس بيروت، ط ٢ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

٢٧. Benoît Marpeau: (Gustave Le Bon. Parcours d'un intellectuel. 1841-1931). Paris, CNRS Éditions, 2000.

٢٨. Benoît Marpeau: (Capitalisme et psychologie de l'éducation Gustave Le Bon et les milieux d'affaires au début du XXème siècle) Edition l'Atelier par l'Association Le Mouvement Social No: 191 (Avr-juin 2000).

٢٩. Chatherine Rouvier (Les Idées politiques de Gustave Le Bon) PUF Presses Universitaires de France

٣. Wikipedia